

## التحرير والتنوير

وجملة ( لا يجدون وليا ولا نصيرا ) حال من ضمير ( خالدين ) أي خالدين في حالة انتفاء الولي والنصير عنهم فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون .

( [ 66 ] الرسولا وأطعنا ا□ أطعنا ليتنا يا يقولون النار في وجوههم تقلب يوم ) A E ( يوم ) ظرف يجوز أن يتعلق ب ( لا يجدون ) أي إن وجدوا أولياء ونصراء في الدنيا من يهود قريضة وخيبر في يوم الأحزاب فيوم تقلب وجوههم في النار لا يجدون وليا يرثي لهم ولا نصيرا يخلصهم . وتكون جملة ( يقولون ) حالا من ضمير ( يقولون ) .

ويجوز أن يتعلق الظرف بفعل ( يقولون ) حالا من ضمير ( لا يجدون ) .

ويجوز أن ينتصب بفعل محذوف تقديره : أذكر على طريقة نظائره من ظروف كثيرة واردة في القرآن وتكون جملة ( يقولون ) حالا من الضمير في ( وجوههم ) .

والتقليل : شدة القلب . والقلب : تغيير وضع الشيء على غير الجهة التي كان عليها . والمعنى : يوم تقلب ملائكة العذاب وجوههم في النار بغير اختيار منهم أو يجعل ا□ ذلك التقلب في وجوههم لتنال النار جميع الوجه كما يقلب الشواء على المشوى لينضج على سواء ولو كان لفح النار مقتصرا على أحد جانبي الوجه لكان للجانب الآخر بعض الراحة .

وتخصيص الوجوه بالذكر من بين سائر الأعضاء لأن حر النار يؤذي الوجوه أشد مما يؤذي بقية الجلد لأن مقر الحواس الرقيقة : العيون والأفواه والآذان والمنافس كقوله تعالى ( فمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة ) .

وحرف ( يا ) في قوله ( يا ليتنا ) للتنبيه لقصد إسماع من يرثي لحالهم مثل ( يا حسرتنا ) . والتمني هنا كناية عن التندم على ما فات وكذلك نحو ( يا حسرتنا ) أي أن الحسرة غير مجدية .

وقد علموا يومئذ أن ما كان يأمرهم به النبي A هو تبليغ عن مراد ا□ منهم وأنهم إذ عصوه فقد عصوا ا□ تعالى فتمنوا يومئذ أن لا يكونوا عصوا الرسول المبلغ عن ا□ تعالى .

والألف في آخر قوله ( الرسولا ) لرعاية الفواصل التي بنيت عليها السورة فإنها بنيت على فاصلة الألف وهي ألف الإطلاق إجراء للفواصل مجرى القوافي التي تلحقها ألف الإطلاق . وقد تقدم ذلك في قوله تعالى ( وتظنون با□ الظنونا ) في هذه السورة وتقدمت وجوه القراءات في إثباتها في الوصل أو حذفها .

( وقالوا ربنا إنا اطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا [ 67 ] ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كثيرا [ 68 ] ) عطف على جملة ( يقولون ) فهي حال . وجيء بها في

صيغة الماضي لأن هذا القول كان متقدما على قولهم ( يا ليتنا أطعنا ا ) فذلك التمني نشأ لهم وقت أن مسهم العذاب وهذا التنصل والدعاء اعتذروا به حين مشاهدة العذاب وحشرهم مع رؤساهم إلى جهنم قال تعالى ( حتى إذا ادركوا فيها جميعا قالت أوراهاهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون ) . فدل على أن ذلك قبل أن يمسه العذاب بل حين رصفوا ونسقوا قبل أن يصب عليهم العذاب ويطلق إليهم حر النار . والابتداء بالنداء ووصف الربوبية إظهار للتضرع والابتهال .

والسادة : جمع سيد . قال أبو علي : وزنة فعلة أي كملة لكن على غير قياس لأن صيغة فعلة تطرد في جمع فاعل لا في جمع فيعمل فقلبت الواو ألفا لانفتاحها وانفتاح ما قبلها . وأما السادات فهو جمع الجمع بزيادة ألف وتاء بزنة جمع المؤنث السالم . والسادة : عظماء القوم والقبائل مثل الملوك .

وقرأ الجمهور ( سادتنا ) . وقرأ ابن عامر ويعقوب ساداتنا بألف بعد الدال وبكسر التاء لأنه جمع بألف وتاء مزيدتين على بناء مفردة . وهو جمع الجمع الذي هو سادة .

والكبراء : جمع كبير وهو عظيم العشيرة وهم دون السادة فإن كبيرا يطلق على رأس العائلة فيقول المرء لأبيه : كبيرى ولذلك قوبل قولهم ( يا ليتنا أطعنا ا ) وأطعنا الرسولا ) بقولهم ( أطعنا سادتنا وكبراءنا ) .

وجملة ( إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ) خبر مستعمل في الشكاية والتذمر وهو تمهيد لطلب الانتصاف من سادتهم وكبراءهم . فالمقصود الإفضاء إلى جملة ( ربنا آتهم ضعفين من العذاب ) . ومقصود من هذا الخبر أيضا الاعتذار والتنصل من تبعة ضلالهم بأنهم مغرورون مخدوعون وهذا الاعتذار مردود عليهم بما أنطقهم ا به من الحقيقة إذ قالوا ( إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا )